جهود الشيخ عبد الحليم محمود (رحمه الله)

في خدمة العلوم الإسلامية - التصوف أنموذجاً

إعداد الدكتور

أحمد عبد الحليم محمد جلال

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

جهود الشيخ عبد الحليم محمود (رحمه الله) في خدمة العلوم الإسلامية - التصوف أنموذجاً

أحمد عبد الحليم محمد جلال

قسم أصول الدين ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر ، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedabdulhalim77@ahar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث الى بيان جهود الشيخ عبد الحليم محمود –رحمه الله – في التصوف من خلال إلقاء الضوء على الإنتاج العلمي للشيخ في هذا الجانب ، وتناول البحث ابرز القضايا التي تعرض لها الشيخ خلال هذا الإنتاج العلمي، ومن أبرزها اتخاذه الكتابة عن الت صوف وأعلامه مشروعا فكريا في مواجهة الفكر المادي، وموقفه من قضية المؤثرات الاجنبية في الت صوف الإسلامي، والنقد الذاتي للت صوف، وموقفه من ظاهره الشطح عند الصوفية، والعلاقة بين الصوفية السلفية، وقد تطلبت طبيعة هذه الدراسةاستخدام المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها القيمة العلمية الكبيرة للتراث الذي خلفه لنا الشيخ عبد الحليم محمود –رحمه الله –في ميدان الت صوف اتسام مواقف الشيخ للقضايا التي عرض لها بالوسطيه والاعتدال.

الكلمات المفتاحية للبحث: الت صوف ، شيخ الأزهر ، عبد الحليم محمود، الأولياء، الكرامات، السلفية.

The Efforts of Sheikh Abdelhalim Mahmoud (May Allah have mercy on him) in serving Islamic sciences, Mysticism as a Model

By: Ahmed Abdul Halim Muhammad Jalal
Department of Osoul Al- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University, Egypt.
Email: ahmedabdulhalim77@ahar.edu.eg

Abstract:

This research paper demonstrates the efforts of Sheikh Abdelhalim Mahmoud (May Allah have mercy on him) in mysticism. It sheds light on the Sheikh's academic output in this respect. The research addresses the most prominent issues that Sheikh Abdelhalim Mahmoud has handled through his academic career. The most notable issue is that of adopting writing about mysticism and its pioneering scholars as an intellectual project in the confrontation with the materialist thinking. The second issue in this respect is the attitude of Sheikh Abdelhalim Mahmoud towards foreign influences on Islamic mysticism and self-criticism of mysticism. The third issue discusses the attitude of the Grand Imam Abdelhalim Mahmoud towards the phenomenon of extravagance among the Sufis, and the relationship between Sufism and Salafism. According to the nature of this topic, the research has applied the descriptive and analytical approaches. Finally, this research paper has concluded with a group of findings. The most notable finding is the great academic value of the output inherited after Sheikh Abdelhalim Mahmoud (May Allah have mercy on him) in the field of mysticism. Moreover, the attitudes of Sheikh Abdelhalim Mahmoud towards the issues he addressed were characterized by moderation and balance.

Key words: mysticism, the Grand Imam of Al-Azhar, Abdelhalim Mahmoud, the allies of Allah, dignities, Salafism.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد

فإن جهود الأجلة من علماء الأزهر الشريف عامة ومشايخه خاصة في خدمة العلوم الشرعية والعربية لا تخفى على ذي عينين، فقد كانت بصماتهم جلية واضحة في شتى العلوم والمعارف الإسلامية، فتركوا لنا تراثًا عظيما يستحق منا أن نعرف به ونفيد منه.

ومن بين هؤلاء الأعلام وقع اختياري على الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله- ليكون موضوع بحثي، فأردت أن أسلط الضوء على جانب من جهوده -رحمه الله- في خدمة العلوم الإسلامية ممثلاً في التصوف الإسلامي.

وقد جاء البحث تحت عنوان (جهود الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- في خدمة العلوم الإسلامية التصوف أنموذجا).

أما عن سبب اختياري لجهود الشيخ في التصوف خاصة دون بقية العلوم التي كان للشيخ فيها جهود تذكر فتشكر فمرد ذلك لأمور عدة من أهمها:

أولاً: خصوصية هذا العلم (التصوف) الذي طالما وجهت إليه الانتقادات المتمثلة تارة في التشكيك في أصالته بين العلوم الإسلامية ونسبته إلى مؤثرات خارجية هندية، أو فارسية، أو يونانية، وتارة أخرى من جراء الخلط بينه وبين سلوك من يدعون زوراً وبهتانا الانتساب إليه.

ثانياً: القيمة العلمية الكبيرة لهذا التراث الذي خلفه لنا الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- في هذا الميدان فنحن أحوج ما نكون إلى تسليط الأضواء عليه والإفادة منه.

ثالثاً: أن الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- حينما كتب في التصوف لم تكن كتاباته من باب الترف العقلي بل كانت نتاج معاناة وسلوك في درب التصوف العملي السني المعتدل.

وقد جاء البحث بعد مقدمته في مبحثين وخاتمة :

المبحث الأول: الشيخ عبد الحليم محمود حياته، وجهوده في ميدان التصوف.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: - نبذة مختصرة عن الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله-.

المطلب الثاني: - جهود الشيخ -رحمه الله- في ميدان التصوف إجمالاً.

المبحث الثاني: أبرز القضـــايا التي تعرض لها الشـــيخ عبد الحليم محمود - رحمه الله- خلال هذا الانتاج العلمي الخاص بعلم التصوف.

وتحته خمسة مطالب :

المطلب الأول: اتخاذ الشيخ عبد الحليم محمود الكتابة عن التصوف وأعلامه مشروعا فكريا في مواجهة الفكر المادي.

المطلب الثاني: - قضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منها.

المطلب الثالث: النقد الذاتي للتصوف وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منه.

المطلب الرابع: الشطح عند الصوفية وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منه.

المطلب الخامس: العلاقة بين الصوفية والسلفية وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منها.

خاتمة: بها أبرز نتائج البحث.

المبحث الأول

الشيخ عبد الحليم محمود حياته، وجهوده في ميدان التصوف

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله-.

ولد الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله- في سنة ١٣٢٨ هـ الموافق مايو ١٩١٠م في قرية (أبو أحمد) بضواحي بلبيس بمحافظة الشرقية، وتسمى القرية الآن باسم قرية (السلام).

حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ثم التحق بالأزهر عام ١٩٢٣م، وبعد إنشاء معهد الزقازيق الديني انتقل إليه عام ١٩٢٥، واختصر فترة الدراسة بأن تقدم للحصول على الشهادة الثانوية من الخارج وحصل عليها عام ١٩٢٨م.

وقد نال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢م، ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة في العام نفسه لاستكمال دراسته في جامعة السوربون، وقد حول إلى البعثة الأزهرية عام ١٩٣٨م، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٠م، وكانت رسالته للدكتوراه عن الحارث بن أسد المحاسبي.

وبعد عودته من فرنسا عمل مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم نقل أستاذاً للفلسفة بكلية أصول الدين ١٩٥١م، وعين عميداً للكلية عام ١٩٦٤م، ثم اختير أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية في أوائل عام ١٩٦٩م، وعين وكيلاً للأزهر عام ١٩٧٠م، ثم وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر ١٩٧٢م، ثم شيخًا للأزهر عام ١٩٧٣م، وقد زار العديد من البلاد العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا، وفضلاً عن ذلك زار عدداً من البلاد الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

والإنتاج العلمي للشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- إنتاج غزير ومتنوع فقد ترجم أو اشترك في ترجمة عدد من المؤلفات من الفرنسية إلى العربية، كما حقق أو اشترك في تحقيق العديد من كتب التراث وبخاصة في ميدان التصوف، وبالإضافة إلى ذلك قام بتأليف عدد كبير من الكتب في

الفلسفة والتصوف وغيرهما من مجالات إسلامية مختلفة.

ومن بين المؤلفات التي اشترك في ترجمتها: الفلسفة اليونانية لألبير ريفو، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون، الأخلاق في الفلسفة الحديثة لأندريه كريسون.

ومن بين الكتب التي حققها:

تفسير التستري (في جزأين)، الطريق إلى الله أو كتاب (الصدق) للخراز، المنقذ من الضلال للغزالي، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري.

ومن أهم الكتب التي اشترك في تحقيقها ونشرها:

اللمع للطوسي، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، الرسالة القشيرية للقشيري، عوارف المعارف للسهروردي، شرح حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق، التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.

ومن بين الكتب التي ألفها:

الإسلام والعقل، فلسفة ابن طفيل ورسالته، التفكير الفلسفي في الإسلام، التصوف عند ابن سينا، أوربا والإسلام.

كما ألف سلسلة كتب عن عدد كبير من أعلام التصوف الإسلامي.

وقد كتب سيرته الذاتية في كتاب بعنوان: (الحمد لله هذه حياتي)

وتوفي -رحمه الله- في صباح الثلاثاء ١٥ ذو القعدة سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٧٨م.[١]

(١) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م ص ٦٣٩-٦٤٢ بتصرف.

المطلب الثاني: جهود الشيخ -رحمه الله- في ميدان التصوف إجمالاً.

تشعبت جهود الشيخ -رحمه الله- في هذا الميدان ميدان التصوف ويمكننا أن نجملها في ثلاثة محاور.

المحور الأول: كتب الشيخ عن التصوف.

ونذكر منها: التصوف عند ابن سينا، قضية التصوف المنقذ من الضلال، العبادة حكم وأسرار، الصلاة أسرار وأحكام، فاذكروني أذكركم.

المحور الثاني: ما حققه الشيخ من كتب عن التصوف.

أولاً: ما انفرد الشيخ بتحقيقه:

ومن بين الكتب التي انفرد الشيخ عبد الحليم محمود - رحمه الله- بتحقيقها: تفسير التستري (في جزأين)، الطريق إلى الله أو كتاب (الصدق) للخراز، المنقذ من الضلال للغزالي، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري.

ثانيًا: ما شاركه غيره في تحقيقه:

ومن أهم الكتب التي اشترك في تحقيقها ونشرها: اللمع للطوسي، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، الرسالة القشيرية للقشيري، عوارف المعارف للسهروردي، شرح حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق، التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي[1].

المحور الثالث: التراجم التي قام بها الشيخ لأعلام التصوف السني المعتدل.

هذه المحور يمثل الجانب الأكبر من تراث الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله- في هذا الميدان - ميدان التصوف- نذكر منها ما وقفنا عليه منها مقرونًا بطبعاته على النحو التالي:

١-الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك ط دار المعارف.

(١) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٦٤١-٦٤٢.

٢-أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ط دار المعارف.

٣-السيد أحمد البدوي ط دار المعارف ط رابعة.

٤-سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ط دار المعارف ط ثانية.

٥-العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفني ط دار المعارف.

٦-العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري ط دار الرشاد ط ثانية ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

٧-القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش ط دار المعارف.

٨-إمام التابعين سعيد بن المسيب ط دار المعارف.

٩-العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ط دار المعارف.

١٠-تاج الصوفية أبوبكر الشبلي حياته وآراؤه ط دار المعارف ط ثانية.

١١-أقطاب التصوف سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ط دار المعارف ط ثالثة

١٢ -العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه ط دار المعارف.

١٣-سيدنا زين العابدين ط دار المعارف.

١٤ -أبو البركات سيدي أحمد الدردير ط دار المعارف.

١٥ -شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله ط دار المعارف.

١٦-الفضيل بن عياض صوفي من الرعيل الأول ط دار الرشاد ط ثانية ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م (الأولى للدار).

١٧-المدرسة الشاذلية وإمامها القطب الشهيد أبو الحسن الشاذلي ط دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.

ومن خلال النظرة السريعة في هذه التراجم رصدت عدة أمور تتعلق بمنهج الشيخ في ترجمته لهؤلاء الأعلام أرى أنه من الأهمية الإشارة إليها لفائدتها:

١-مدى الجهد الذي بذله الشيخ -رحمه الله- من أجل الحصول على مصادر الترجمة لهؤلاء الأعلام، وأنه لم يدخر وسعًا في سبيل الحصول عليها سواء كانت كتبًا أو مخطوطات طالما كانت تشتمل على مادة علمية للشخصية المترجم لها، وقد ذكر ذلك الشيخ بشيء من التفصيل في مقدمة بعض هذه الترجمات، ذاكراً أسماء بعض الأشخاص والجهات التي أمدته بذلك.(١)

٢ -الدقة والأمانة العلمية التي اتسمت به كتابات الشيخ وترجماته لهؤلاء الأعلام، ومدى حرصه على توثيق المعلومة من خلال ذكر مصدرها -على نحو ما بيناه آنفًا-، فإذا لم يحصل عليها نراه لا يستنكف أن يذكر أن هذا الجانب من حياة الشخصية لا يعلم عنه شيئًا، ويذكر ذلك في أسلوب يثير انتباه القارئ مثل قوله: أما عن كذا من جوانب الشخصية فلا أعلم عنه شيئا.(٢)

وهو درس عظيم للباحثين وطلاب العلم في زماننا حتى يتحروا الدقة والأمانة العلمية في أبحاثهم.

٣-عدم قيام الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- بالكتابة عن العصر الذي عاش به معظم هؤلاء الأعلام عدا سفيان الثوري، وقد كانت له وجهة نظر في ذلك أفصح عنها في بداية حديثه عن عصر سفيان الثوري فقد صرح أنه لم يكتب عن عصر أحد ممن ترجم لهم عدا سفيان الثوري عن عمد، وأنه يرى أن هؤلاء الأعلام النابهين ممن ترجم لهم لا ينبغي أن ينظر إليهم أنهم ثمرة من ثمار عصرهم الذين عاشوا فيه متأثرين بهذا، ومقلدين ذاك، وآخذين عن فلان، وناقلين عن فلان.

مبينًا أنه لا يرتضي هذا النهج في الكتابة ونراه يصرح بذلك قائلاً:

(وهذا نهج من البحث لا نرتضيه، لأننا نكتب عن قوم هم من الأصالة بحيث لا ينزلون إلى مستوى الخضوع لغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته لسفيان الثوري ص٦-٩، وكذلك ترجمته للمدرسة الشاذلية ص ٥-١٠، وأيضًا ما ذكره في كتابه عن ذي النون المصري ص ٩ سطر ٥ من أسفل.

(٢) من أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكره عند ترجمته لسعيد بن المسيب ص ٩-١٣-٢٠.

إننا نكتب عن شخصيات يغيرون وجه الحياة في جانب من جوانبها، إنهم ليسوا ثمار عصرهم تقليداً وتأثراً، وهذا النهج من البحث نسير فيه مشاركين الكثير من المفكرين الذين يرون أن العباقرة ليسوا ثمار عصرهم). [١]

وهي وجهة نظر للشيخ -رحمه الله- تقبل النقاش حولها غير أن طبيعة البحث لا تسمح بذلك.

٤ -مناقشته للعديد من القضايا المتعلقة بالتصوف خلال ترجمته لأعلامه والتي جاءت متسقة مع حديثة عن هؤلاء الأعلام منسجمة معه غير نافرة ولا شاذة عن سياق حديثه عنهم، فقد كان الشيخ قادرا على أن ينسجها نسجا محكمًا قي سياق الحديث عن هؤلاء الأعلام فلا تبدو جسمًا غريبًا عن سياق حديثه عن هؤلاء الأعلام. [٢]

٥- استثمار الشيخ للهوامش في كتبه فقد ضمنها موضوعات وقضايا ومحاضرات مهمة رأي الشيخ إدراجها بالهوامش، وإن طالت نسبيا في بعض الأحيان حتى وصلت إلى ما يزيد على عشر صفحات أحيانًا. [٣]

---

(١) أقطاب التصوف سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث للشيخ عبد الحليم محمود ط دار المعارف ط ثالثة ص ١٠ هامش ١.

(٢) من أبرز النماذج على ذلك: العلاقة بين الصوفية والسلفية في كتابه عن العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفني ص ٥، العلم في الجو الصوفي من كتابه عن العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ص ٢٥، الشطح في كتابه سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ص ٥٩، التحلل من الشريعة في كتابه قضية التصوف المنقذ من الضلال ص١٢٧-١٣٢.

(٣) منها مثلاً ما جاء في هامش (١) ص (١١٧) من كتابه القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش ص ١١٧-١٢٨ فقد ضمها محاضرة عن الاجتهاد والثبات في الشريعة، وهي محاضرة كان قد ألقاها الشيخ في نادي محامي الحكومة يوم السبت الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٧٤م وزاد عدد صفحاتها عن عشر صفحات من ص ١١٧-١٢٨، ومنها ما جاء في هامش (١) ص (١١) من كتابه سيدي أحمد الدردير تحدث فيه عن السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية وكانت في عشر صفحات من ص ١١-٢٠.

المبحث الثاني

أبرز القضايا التي تعرض لها الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- خلال هذا الانتاج العلمي الخاص بعلم التصوف.

برزت جملة من القضايا التي ناقشها الشيخ-رحمه الله- خلال ما صنفه من مؤلفات في التصوف نذكر بعضها في المطالب التالية:

المطلب الأول: اتخاذ الشيخ عبد الحليم محمود الكتابة عن التصوف وأعلامه مشروعا فكرياً في مواجهة الفكر المادي.

مثلت كتابات الشيخ -عبد الحليم محمود عن التصوف مشروعًا فكريا قدمه للأمة الإسلامية في مواجهة الفكر المادي الذي فتن به شباب الأمة في عصره، فأراد أن يبين لهم حقيقة هذا الفكر فيما سطره من كتابات كشف فيها عن زيف الحضارة الغربية المادية من جانب، ومن جانب آخر أراد أن يطرح لهم بديلاً إسلاميا من خلال تسليطه الضوء على حياة النماذج المضيئة في تاريخ التصوف ممن يمثلون التصوف السني المعتدل.

نرى ذلك واضحًا بل نراه ينص عليه ويشير إليه في مطلع معظم كتاباته عن هؤلاء الأعلام.

فنراه مثلاً في مقدمة كتابه عن أبي يزيد البسطامي يبسط الكلام في الحديث عن الحضارة الغربية المادية فيبين أنها اعتنت عناية فائقة بالجوانب المادية على حساب الجوانب المعنوية المتمثلة في الوحي الذي لم تعره اهتماما فيقول:

(أعرضت الحضارة الحديثة عن هذا الجانب – يعني الوحي- واندفعت في كشف قوانين المادة للاستعلاء والغلبة واندفعت في تشجيع الفرد على أن يحل رأيه في الجانب المعنوي محل قوانين الله في المجتمع ...وشقيت الإنسانية شقاء لا حد له من جراء الإعراض عن التوجيهات في شتى مجالات النواحي الاجتماعية عقيدة أو أخلاقًا أو تشريعًا.

وكان لا بد أن ينشط المؤمنون الصادقون في الدعوة إلى الله، وأن يضاعفوا الجهد في هداية

الإنسانية إلى الإيمان وما يتضمنه من فضائل وما ينتج عنه من أمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وصور الدعوة إلى الإيمان تتنوع وتتعدد فمنها:

١-الدعوة مثلاً عن طريق إيضاح موضوع الرسالة الذي يتنوع هو الآخر ويتعدد، فيكون بيانًا للقرآن الكريم، أو شرحًا للأحاديث النبوية الشريفة.

٢-ومنها الدعوة عن طريق الكتابة في سيرة الرسول -ﷺ- وهو-صلوات الله عليه وسلامه- المثل الكامل لتطبيق الرسالة وإخراجها للواقع كما أحب الله ﷻ لها.

٣-ومنها الكتابة عن الشخصيات التي سارت في طريق الله تعالى ملتزمة شريعته سبحانه.

ثم يقول: ونحن والحمد لله قد كتبنا في كل هذه الموضوعات متكاتفين في ذلك مع هؤلاء الذين يسيرون على نفس الطريق.(١)

وما فتئ الشيخ عبد الحليم محمود يؤكد على هذا النهج المتمثل في اتخاذه الكتابة عن التصوف وأعلامه مشروعا فكريا يقدمه للأمة في مواجهة الحضارة المادية فنراه في مقدمة كتابه عن العارف بالله سهل بن عبد الله التستري يقول ما نصه :(وهذا الكتاب حلقة جديدة -تساهم- مع ما سبق أن كتبنا في مقاومة تيار التحلل وتيار الرذيلة).(٢)

وذكر مثل ذلك أيضًا في مقدمة كتابه عن بشر بن الحارث الحافي حين قال: (وإننا بكتابنا عن الشخصيات الصوفية فإنما نقدم للأمة الإسلامية نماذج من أشخاص لم يبهرهم بريق الثقافات الغربية- وقد ترجمت على عهدهم- وإنما كان منهجهم في الحياة الاتباع لا الابتداع، وساروا في حياتهم متأسين برسول الله-ﷺ- فسعدوا وأسعدوا).(٣)

---

(١) سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ط ثانية ص ١٠-١١.

(٢) عارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه ط دار المعارف ص ١٣.

(٣) العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ط دار المعارف ص ٩.

المطلب الثاني: قضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منها.

يعد الحديث عن المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من أبرز القضايا التي شغلت الباحثين والدارسين للتصوف، لا سيما بعدما أثاره المستشرقون في كتاباتهم من لغط حولها، فقد جاءت كتابات الكثيرين منهم متسقة مع الروح العامة التي سيطرت عليهم في تناولهم للإسلام عموماً، والعلوم الإسلامية على الأخص والتي جعلتهم يحاولون إظهار المسلمين في كثير من ميادين العلم المعرفة -ومن بينها التصوف- بأنهم عالة على غيرهم في هذه العلوم.

ولقد تأثر بهذه النزعة الاستشراقية فيما يخص التصوف غير واحد من المفكرين العرب، ومن أبرزهم ذكي مبارك فقد كان لا يرى التصوف الإسلامي سوى ظل للمسيحية، وصرح بذلك في كتابه (التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق) قائلاً: (فالتصوف الإسلامي هو في حقيقته ظل من ظلال المسيحية).[١]

ومن أبرز من تصدوا لافتراءات المستشرقين الدكتور مصطفى حلمي في كتابه (الحياة الروحية في الإسلام).

فقد أفرد هذه القضية ببحث مستفيض في كتابة تحت عنوان: (مصادر الحياة الروحية الإسلامية) عرض خلاله للنظريات التي تبناها -غالباً- المستشرقون والتي ترجع بالتصوف الإسلامي إلى أصول أجنبية هندية، أو فارسية، أو يونانية، أو مسيحية، وردها كلها رداً مفصلاً.[٢] ثم عقب على ذلك قائلاً:

(يبقى بعد هذا أن نتساءل قائلين: ألا يصح أن يكون التصوف – يعني الإسلامي- نتاجاً تلقائياً مستقلاً عن كل العوامل الدينية والفلسفية والأجنبية، والحق أن قولاً كهذا لا يبعد أن يكون

(١)التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق بقلم ذكي مبارك ط مطبعة الاعتماد ط أولى سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م ص ١٧٧.

(٢) انظر الحياة الروحية في الإسلام تأليف محمد مصطفى حلمي ط دار الكتاب اللبناني -بيروت ص ٣١-٨٠.

صحيحًا وملائمًا لطبيعة الأشياء إلى حد ما، إن لم يكن كذلك إلى حد بعيد.

فالنفس الإنسانية هي هي بعينها في كل أفراد الإنسان، وهي هي التي إذا خضعت في هذا الإنسان أو ذاك لألوان بعينها من المجاهدات والرياضات وصلت في هذا الإنسان أو ذاك إلى درجة واحدة من الصفاء الروحي والنقاء القلبي، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال : إن التصوف من حيث هو رياضة للنفس الإنسانية التي هي حظ مشترك بين أفراد الإنسان جميعًا يصح أن ينتهي عند المعتنقين لدين من الأديان إلى عين النتائج التي ينتهي إليها عند المعتنقين لدين آخر من هذه الأديان، وذلك لأن وسائل التصفية وطرق التهذيب التي يصطنعها أولئك وهؤلاء واحدة هي الأخرى، فإذا كان ذلك كذلك وكانت النفس الإنسانية هي هي النفس الإنسانية في كل زمان وكل مكان فما الذي يمنع إذا من أن يكون التصوف الذي ظهر في الإسلام هو هو بعينه التصوف الذي أخذ صوراً متعددة في الديانات الهندية والفارسية ، والنصرانية وفي الفلسفة اليونانية، وما الذي يمنع أيضًا من أن يكون التصوف الإسلامي قد نشأ بعيداً عن كل المؤثرات الدينية والفلسفية الأجنبية وأن يكون هذا التشابه الملحوظ بينه وبين البراهمية والمانوية والنصرانية والأفلاطونية الجديدة آتيًا من أن زهاد المسلمين وصوفيتهم قد أخضعوا أنفسهم لطائفة من القواعد والأحكام التي تقرب كثيراً أو قليلاً من تلك التي أخضع لها نساك البراهمية، وزهاد المانوية، ورهبان النصرانية، وفلاسفة الأفلاطونية الجديدة أنفسهم.....وجملة القول أننا إذا أردنا أن نكون لنا رأيًا في مصدر التصوف يلائم نشأته وطبيعته، فقد وجب علينا إذن أن نتجنب الوقوع في الخطأ الناشئ من النظر إلى التصوف على أنه في جملته وتفاصيله مذهب فلسفي له حدوده التي تجعل منه شيئًا مصطبغًا بصبغة نزعة معينة من النزعات، أو متأثراً بعامل من العوامل الأجنبية دينية كانت هذه العوامل أو فلسفية،....أما فيما يتعلق بالتصوف من حيث هو مذاهب روحية في كشف الحقائق، ومعرفة الدقائق، وتفسير الوجود، فذلك ما لا يمكن أن ننكر تسرب بعض العناصر الأجنبية إليه، ولو أن

تسربها إلى أقوال صوفية المسلمين ومذاهبهم كان في عصور متأخرة عن العصر الذي ألقيت فيه البذرة الأولى للحياة الروحية في قلب المسلم الأول ، وهو محمد -ﷺ-.

وهذا ينتهي بنا إلى أن زهاد المسلمين وصوفيتهم الأولين إنما كانوا من صفاء النفس، وجلاء القلب، وطهر السريرة، والقدرة على كشف الحقيقة إلى حد بعيد، لآنهم أخذوا أنفسهم بما كان يأخذ به النبي – ﷺ- نفسه من زهد وورع، وعكوف على العبادة، فتأثرهم بحياة النبي الروحية- لا تأثرهم بالديانات والفلسفات الأجنبية- هو الذي جعل منهم زهاداً وصوفية لأول مرة في تاريخ الحياة في الإسلام).[١]

موقف الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- من هذه القضية :

تناول الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- هذه القضية- قضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي- في أكثر من مصنف من مصنفاته، عرض لها في سياق ترجمته للحارث المحاسبي رداً على ما زعمه بعض المستشرقين من تأثر الحارث المحاسبي في تصوفه بالنزعة المسيحية القديمة إلى الزهد. [٢]

فذكر مقالة كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، ثم ذكر كلام غيره من المستشرقين الذين ذهبوا مذهبه في هذه القضية.[٣]

---

(١) الحياة الروحية في الإسلام ص ٧٦-٧٩ بتصرف كبير.

(٢) لا بد من الإشارة هنا إلى تأثر بعض المفكرين العرب بما زعمه المستشرقون حول الحارث المحاسبي ومنهم ذكي مبارك الذي فقد وافق المستشرقين فيما يتصل بنظرتهم وحكمهم على تصوف الحارث المحاسبي وقد صرح بذلك في كتابه (التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق) قائلاً:(وكان المحاسبي رجلاً مسيحي النزعة- يعني في تصوفه-) انظر التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ص ١٧٩ .)

(٣) انظر أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ط دار المعارف ص٥٤-٦٣).

ثم رد عليهم مفنداً الأسباب التي استند إليها هؤلاء المستشرقون فيما يتعلق بالحارث المحاسبي – مما لا يتسع المقام لذكره- ثم ختم حديثه بقوله:

(فأسباب القول بالتأثير المسيحي على الصوفي الذي يعنينا ليست إذن بالأسباب المقنعة، لذلك نعتقد أنه لا مناص من تأكيد ما سبق أن عرضناه بشأن ثقافة المحاسبي من أنها كانت ثقافة عربية إسلامية خالصة).[1]

وقد تناول الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله- قضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي في مصنف آخر من مصنفاته تناولها في كتابه (قضية التصوف المنقذ من الضلال) تحت عنوان: التصوف ليس دخيلاً على الإسلام فقال: أما أن التصوف دخيل على الإسلام، فيكفينا في الرد على ذلك أن نذكر ثلاثة آراء:

أولها: للشيخ عبد الواحد يحي، وهو فيلسوف مسلم صوفي، والثاني للمستشرق الشهير الأستاذ ماسينيون، الذي يعتبر أعظم باحث في التصوف من بين المستشرقين في العصر الحاضر، والثالث لصاحب كتاب (التبصير في الدين) وهو معني أشد عناية بالرد على كل من يخالف مذهب أهل السنة، ومؤلفه هو الإمام الكامل الفقيه الأصولي المفسر (الاسفراييني).

ويرى الشيخ عبد الواحد أن التصوف يكون جزءاً جوهريًا من الدين الإسلامي، إذ أن الدين يكون ناقصًا بدونه، بل يكون ناقصًا من جهته السامية، أعني جهة المركز الأساسي، لذلك كانت فروضًا رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبي يوناني أو هندي أو فارسي، وهي معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها، تلك المصطلحات التي ترتبط باللغة العربية ارتباطًا وثيقًا، وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وما يماثلها في البيئات الأخرى فتفسير هذا طبيعي لا يحتاج إلى فرض الاستعارة ذلك أنه مادامت الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد في جوهرها

(١) انظر أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ط دار المعارف ص ٦٢.

وإن اختلفت فيما تلبسه من صور.

ويقول الأستاذ ماسينيون: وقد بين نيكولسون أن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول والحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها في أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتقرئهما وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث وما حل بالأفراد من نوازل.

ويذكر صاحب كتاب التبصير في أمور الدين ما يمتاز به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج، والروافض، والقدرية، فيذكر أن سادس ما امتاز به أهل السنة هو علم التصوف والإشارات، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي من مشايخهم قريبًا من ألف وجمع إشاراتهم وأحاديثهم ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية والروافض والخوارج. وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم والتفويض والتبري من النفس، والتوحيد بالخلق والمشيئة، وأهل البدعة ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير إلى أنفسهم وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد).[١]

وفي الختام لن نجد عبارة دالة ومعبرة عن رأي الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله- في هذه القضية أوفي من تلك العبارة التي أوردها في كتابه:(العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه) حين قال: (لقد ولد التصوف مع الإسلام، والقرآن والسنة وسيرة الرسول كلها أعلام هداية من حيث الأساس الذي يقوم عليه الطريق، وأعلام هداية من حيث المعراج في السلوك، وإذا تأملت في طريق الصوفية، أو في غايات الطريق فستجد أنه يقوم على الإسلام ويسير على هداه) [٢]

(١) قضية التصوف المنقذ من الضلال ط دار المعارف ص٢٦١-٢٦٣).

(٢) العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه ط دار المعارف ص ١٥٦.

المطلب الثالث: النقد الذاتي للتصوف وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منه:

تعرض التصـــوف والصـــوفية على امتداد تاريخهم لموجات من الانتقادات، ولم تكن هذه الانتقادات كلها على نسق واحد.

فمنها ما كان من غير المنتســبين للتصــوف وهؤلاء كان منهم المتحامل على التصــوف والمتصوفة، الذي لا يرى في التصوف شيئًا مفيداً نافعًا على الإطلاق بل يراه شراً محضًا.

وكان منهم أيضــًا من اتسم نقده بالحيدة والإنصاف من خلال تسليط الضوء على الجوانب الإيجابية في التصوف، ثم ذكر ما يراه من سلبيات تتعلق بالتصوف علمًا أو سلوكًا.

ومنها- أي الانتقادات- ما كان من المنتسبين إلى التصوف مما عرف بالنقد الذاتي، وهذا اللون من النقد له قيمته الكبرى من الناحية العلمية، فلا يمكن أن يرمى أصحابه بالتآمر على المتصوفة، أو الكره للتصوف مما يمكن أن يوجه للطائفة الأولى ممن ينتقدون التصوف وهم لا ينتسبون إليه.

وهذا المسلك (النقد الذاتي) ليس جديداً بل هو ضارب في القدم، يرجع إلى عصر التدوين لعلم التصوف والتأليف فيه، بل لعله كان من بين الأسباب الباعثة على التدوين والتأليف في هذا العلم.

ومن أبرز الأعلام الذين تناولوا هذه القضية بالبحث والدرس أبو نصر السراج صاحب كتاب (اللمع) الذي يعد من أقدم المؤلفات الصوفية إن لم يكن أقدمها على الإطلاق.[١]

فقد جعل الكتاب الأخير من كتابه (اللمع) لهذا الجانب النقدي في دراسة التصوف وهو يربو على مائة صفحة.[٢]

ومن أعلام التصــوف أيضــًا الذين عنوا بهذه القضــية (النقد الذاتي) الإمام القشــيري صــاحب

---

(١) نقد الصوفية د/ حسن الشافعي بحث منشور بموسوعة التصوف الإسلامي الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٧٤٦.

(٢) السابق ص ٧٤٨.

الرسالة المتوفى سنة٤٦٥ هـ، فنراه يقول في مقدمتها:

(اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم.. وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة، مضى الشيوخ الذين كان بهم الاقتداء، وقل الشباب الذين كان بسيرتهم وسنتهم اقتداء.....وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام فاستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحذورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتاب ولا لوم.

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعضه من هذه القصة-وكنت لا أبسط لهذه الغاية لسان الإنكار غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء:-

ولما أبى الوقت إلا استصعابا وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديًا فيما اعتادوه، واغتراراً بما ارتادوه- أشفقت على القلوب أن تحسب أن الأمر على هذه الجملة بني قواعده، وعلى هذا النحو سار سلفه فعلقت هذه الرسالة إليكم لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة، ومنكم لي بتصحيحها شهادة، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة ومن الله الكريم فضلاً ومثوبة).[١]

(١)الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري تحقيق د/ عبدالحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ط مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ص ١٩-٢٢.

الشيخ عبد الحليم محمود والنقد الذاتي للتصوف:

سبق أن ذكرنا – في مقدمة هذا البحث – أن الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله – حمل على كاهله عبأ الذود عن التصوف علماً وسلوكاً من خلال إحياء وبعث سير الرعيل الأول من المتصوفة، وما قام به من تحقيق كتب تعد من عيون التراث في هذا العلم، وما سطره من مصنفات فيه إلا أن هذا لم يمنعه من توجيه النقد لأدعياء التصوف في كثير من مصنفاته، وقد خص منهم فئات بعينها نذكر منهم :

أ-الذين لا يقيمون للعلم عامة والشرعي منه خاصة وزناً في هذا الطريق:

فقد أكد فضيلته على أهمية العلم – لا سيما الشرعي منه- بالنسبة للتصوف والمتصوفة في جل كتبه التي ترجم فيه لأعلام التصوف.

فقد تناول هذه القضية تحت عنوان (العلم في الجو الصوفي) في كتابه عن بشر الحافي فتحدث عن حال المتصوفة الأوائل مع العلم وكيف كانوا نجوما تتلألأ في سماء العلم والمعرفة في عصورهم فضربوا في كثير من ميادين العلم بسهم وافر.(١)

ثم عاد في كتابه في كتابه (أبو مدين الغوث حياته ومعراجه) للحديث مرة أخرى عن العلم ومكانته بالنسبة للتصوف والمتصوفة فنراه يقول:

(إن الله لا يعبد إلا بالعلم: إنها كلمة نعلنها في آذان صوفية العصر الحاضر، نعلنها لمشايخ الطرق، ونعلنها للمريدين، ونرجو أن يكون في لائحة مشيخة الطرق فرض حد أدنى من العلم في كل من يولى مشيخة أو وكالة مشيخة، وهذا الحد الأدنى يفرض فيه حفظ القرآن، وحفظ مجموعة من الأحاديث، وقراءة مجموعة مختارة من كتب الفقه والتصوف.

ولن تكون للتصوف نهضة إلا بالتأسي برسول الله ﷺ، والتأسي به لا يكون إلا بالعلم:

(١) انظر كتاب العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ط دار المعارف ص ٢٥).

بسيرته، بأحاديثه، بالقرآن الذي أنزل عليه، وشعاره ﷺ: (ربي زدني علما)

إن الله لا يعبد إلا بالعلم، وما كان الجاهل في يوم من الأيام قدوة، ولا مرشداً، ولا شيخًا يهدي الآخرين.

وإذا كان القائمون على التصوف الآن يشعرون بعدم الإقبال عليهم كما كان العهد في الماضي فعلاج ذلك أمره يسير: أن يكونوا قدوة في العلم، وقدوة في السلوك: أي أن يتأسوا برسول الله ﷺ.(١)

ب- من يروجون أن الشخص الذي يصل إلى مرتبة معينة من المعرفة في طريق التصوف تسقط عنه التكاليف الشرعية.

فقد أفرد عنوانا في كتابه قضية التصوف المنقذ من الضلال للرد على هذه البدعة وعنون له بـ (التصوف والتحلل من الشريعة الإسلامية). قال فيه:

(في كل ميدان من الميادين نجد الأدعياء نجدهم في الميدان الديني ، والميدان السياسي، وفي الميدان العلمي، ونجدهم كذلك في ميدان التصوف، وهدف هؤلاء الأدعياء معروف، إنه الاستفادة المادية من أقصر الطرق، وكما لا يضر الدين ولا يضر العلم أنه ينتسب إليه الأدعياء المزيفون كذلك الأمر فيما يتعلق بالتصوف، نقول هذا بمناسبة ما سمعناه حديثًا عن بدعة ضالة أخذت تتسرب إلى بعض النفوس التي لم تتعمق في الجانب الديني عمومًا، ولا في الجانب الصوفي خصوصًا، هذه البدعة ترى أن الشخص الذي يصل إلى مرتبة معينة من المعرفة تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فليس عليه صلاة ولا زكاة ولا حج....ولا غير ذلك مما يلتزمه المسلمون....

وهي مسألة لم يبتدعها من يزعمون التصوف في العصر الحديث، وليس لهم حتى فضل السبق في الباطل إن كان السبق في الباطل له فضل، إنها ضلالة قديمة نشأت في أوساط متحللة انتسبت إلى

(١) شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله ط دار المعارف ص ٢٧)

التصوف انتسابًا باطلاً، وحاربها ممثلو التصوف في كل عصر وفي كل بيئة، ومما لا شك فيه أن القول الفصل في كل مشكلة من المشكلات إنما يرجع فيه إلى الذين يمثلون الموضوع الذي تنتسب إليه المشكلة، وإذا رجعنا إلى زعماء التصوف الذين لا يختلف في زعامتهم اثنان نجدهم سواء في ذلك القدامى منهم والمحدثون نجدهم ينكرون الفكرة إنكاراً تامًا ويرونها زيفًا وضلالاً، وانسلاخًا عن الدين بالكلية.

ثم أخذ يذكر آراء القدامى والمحدثين في هذه القضية والتي تبين زيف وضلال أصحاب هذه الدعوى، ثم يختم بقوله:

(والصوفية يتبعون في كل هذا النصوص القرآنية والسنة القولية والعملية للرسول ﷺ وهم يعلمون بلا شك البديهات التاريخية من أن الرسول ﷺ كان المثل الأعلى في أداء الشعائر إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة هذا رأي القدماء، وخير ما نختم به إنما هو الحديث النبوي الكريم: (سئل النبي ﷺ عن قوم تركوا العمل بالدين وأحسنوا الظن في الله فقال: كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل).[1]

(١) قضية التصوف المنقذ من الضلال تحت عنوان التصوف والتحلل من الشريعة ص ١٢٧-١٣٢.

المطلب الرابع: الشطح عند الصوفية وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منه:

ظاهرة الشطح أحد أبرز الظواهر الصوفية التي لقي الصوفية هجوماً شديداً بسببها، فقد كانت سبباً في توجيه النقد لهم، واتهامهم بالكفر والزندقة، أو بالإباحية والتحلل من التكاليف.

وللوقوف على هذ الظاهرة بصورة مختصرة وبما لا يخل بسياق البحث وطبيعته سنعرض لتعريفها ونشأتها وعناصرها وموقف الصوفية منها ثم نختم ببيان موقف الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- منها.

أولاً: تعريف الشطح:

عرف الشطح بتعريفات عدة أبرزها:

تعريف أبي نصر السراج الطوسي في كتابه اللمع فقد عرفه بأنه: عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته. (١)

كما عرفه الشريف الجرجاني في التعريفات بأنه: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهو من زلات المحققين فإنه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة. (٢)

ثانياً: نشأته وعناصره:

نشأته:

أما عن نشأة الشطح ومكان ظهوره فقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي أن أول من ظهر فيهم الشطح الخراسانيون، ثم سرعان ما انتقلت هذه الظاهرة من خراسان إلى العراق، وخاصة صوفية

(١) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ طه عبد الباقي سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م ص ٤٥٣).

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني ط مصطفى البابي الحلبي١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م ص ١١٢ .

بغداد لما كان من صلات بين الخراسانيين والبغداديين.[١]

ويذهب الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية إلى أن الشطح بمعناه الحقيقي ظهر لأول مرة عند أبي اليزيد البسطامي في القرن الثالث الهجري، وإن كانت قد بدت صور أولية منه في أقوال أثرت عن إبراهيم بن أدهم، ورابعة العدوية، ولكن هذه الأقوال يرى أنها لا تنطبق عليها شروط الشطح بتمامها.[٢]

عناصره:

ليس كل ما يصدر عن الصوفية من عبارات مستغربة يصلح أن يطلق عليه مسمى الشطح، ولكن لا بد من توافر عدة أمور تعد عناصر رئيسة في هذه الأقوال حتى يصدق عليها هذا الوصف فإذا فقدت واحداً منها لا يصدق عليها وصف الشطح، وهذه العناصر يمكن حصرها في الأمور التالية:

١-أنه عبارة مستغربة، ظاهرها مستقبح.

٢-أنه نتيجة وجد لا تستطيع العبارة المعتادة التعبير عنه حق التعبير.

٣-أن الصوفي في هذه الحالة يمر بحالة سكر بالمعنى الصوفي.

٤ -أن هذه العبارة المستغربة في الظاهر صحيحة في الباطن، فالصوفي حال النطق بها صادق مع نفسه، وهذا ما يميزها عن الادعاءات الكاذبة الصادرة من المتسترين بالتصوف من الزنادقة والإباحيين والجهلة والمنتفعين، فالصوفي في شطحه صادق مع نفسه في وقته.[٣]

---

(١) الدعوى والشطح ص ١٠-١١.

(٢) شطحات الصوفية د/ عبد الرحمن بدوي ط وكالة المطبوعات-الكويت ص ٢٧.

(٣) الدعوى والشطح عند الصوفية د/ حبيب الله حسن أحمد ط مصر للخدمات العلمية ص ١٣.

ثالثاً: موقف الصوفية منها:

لم يتح الصوفية لكل واحد أن يفسر الشطحات ولكنهم اشترطوا لمن يفسرها أن يكون من الصوفية أنفسهم، ولهم في ذلك حجتهم فأهل كل علم أعلم بفك معضلاته، لأنهم أدرى بمصطلحاته واساليبه، فلا يسأل عالم في غير اختصاصه، ولا يكون مرجعاً في علمه إلا من كان راسخاً فيه، فلا يجوز أن يفسر الشطح وبالتالي يحكم على صاحبه إلا صوفي، وليس مجرد صوفي، لا بل الصوفي الذب يكون له حال مثل حاله، ووقت مثل وقته، ووجد مثل وجده.

ومن الصوفية الذين اهتموا بتفسير الشطحات أبو نصر السراج الطوسي فقد عقد كتاباً من عدة أبواب في كتابه (اللمع) لتفسير الشطحات التي اشتهر بها بعض الصوفية.

وممن اهتموا بتفسير شطحات أبي يزيد البسطامي خاصة (أبو القاسم الجنيد) المتوفى سنة ٢٩٨هـ.

ومن هؤلاء الذين اشتغلوا بتفسير شطحات الصوفية الإمام الغزالي في كثير من مصنفاته الصوفية.

وممن اشتغل أيضاً بتفسير شطحات الصوفية وأكثر من الدفاع عن أصحابها والاعتذار لهم أبو محمد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ في كتابه (نشر المحاسن الغالية) الملقب بـــ(كفاية المعتقد ونكاية المنتقد). .[١]

رابعاً: موقف الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- من هذه الظاهرة:

تعرض الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله- لظاهرة الشطح عند الصوفية في سياق حديثه عن أبي يزيد البسطامي، فبدأ حديثه بقوله: لعل كثيراً من الناس يتساءلون، إذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق باتباع أبي يزيد وتحكيمه الكتاب والسنة، فما الشأن في هذه التعبيرات التي تنسب إليه، والتي يرى البعض فيها مظاهر لا تتفق مع الشريعة؟

ثم شرع في الرد على هذا التساؤل قائلاً: وردنا أولاً: هو أن ما ذكرناه سابقاً يحكم على غيره،

(١) السابق ص ٢٦- ٢٧ بتصرف.

أي أن ما ذكرناه سابقًا هو الأصل، وهو الذي عليه أبو يزيد، أما ما عداه مما يتنافى معه فإنه غير صحيح.

وما من شك في أن بعض الناس من ديدنهم أن يفتروا على الآخرين، وأن ينسبوا إليهم افتراءً ما لم يكن لهم، وهذا الفريق من الناس يجد لذة في ذلك، لأن في قلبه مرض لا يهدأ إلا بالتشنيع على الآخرين، وربما هذا يكون من هذا القبيل، وعن هذه البواعث المرضية الكثير مما نسب إلى أبي يزيد.(١)

ثم شرع الشيخ عبد الحليم محمود في ذكر أقوال العلماء التي تؤيد ما ذكره من أن هناك أقوالاً نسبت إلى أبي يزيد البسطامي وهو منها براء.

ومما ذكره من أقوال: قول شيخ الإسلام الإمام عبد الله الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ (إن كثيراً من الأكاذيب قد انتحل باسم أبي يزيد البسطامي، مثل قوله: صعدت إلى السماء، وضربت قبتي بإزاء العرش).

وذكر أيضًا ما قاله الإمام الذهبي وهو الناقد الصارم فقد قال عن أبي يزيد: (نقلوا عنه أشياء كبيرة، الشأن عدم صحتها) ثم أردف الذهبي ذلك بقوله: ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قاله حال سكره، وقال ابن حجر بعد حكايته ذلك عنه ومعقبًا على قوله، قلت أبو يزيد يسلم له حاله والله متولي السرائر.(٢).

وبعد كل ما ذكره الشيخ عبد الحليم محمود مما يتعلق برأيه فيما أثر من أقوال نسبت لأبي يزيد البسطامي تعد من قبيل الشطح، نستطيع أن نلخص موقفه من هذه الأقوال ومن هذه الظاهرة – الشطح– عامة في النقاط التالية:

---

(١) سلطان العارفين أو يزيد البسطامي ص ٥٩-٦١.

(٢) السابق ص ٥٩-٦١.

١-أنه يجب أن يتحقق في مدى صحة نسبة هذه الأقوال إليهم، فقد تكون النسبة غير صحيحة بل محض افتراء تقف ورائها دوافع مختلفة نفسية أو سياسية.

٢-أن من يثبت صحة نسبة مثل هذه الأقوال إليه، ينظر في حاله قبلها، فإن كان متبعًا لهدي القرآن والسنة ملتزماً بهما حمل قوله على المحمل الحسن، ويحسن الظن به، وإن كان حاله على خلاف ذلك فهو مؤاخذ بما صدر عنه.

٣-أنه لو أمكن تأويل هذه الأقوال وحملها على وجه غير الوجه المستقبح لكان أولى، وهذا ما صنعه الشيخ عبد الحليم محمود في بعض الأقوال التي نسبت لأبي يزيد فذكر بعض الأقوال التي أثرت عنه ثم ذكر تأويل غير واحد من العلماء لها. (١)

المطلب الخامس: العلاقة بين الصوفية والسلفية وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منها:

من بين القضايا التي تناولها الإمام عبد الحليم محمود-رحمه الله- بالبحث قضية العلاقة بين الصوفية والسلفية فقد أفرد لها عنوانًا في صدر كتابه عن العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحنفي، فذكر في مستهل حديثه أن السلفية لا يخرج معناها عن حب الله، واتباع رسوله فيما أمر، وفيما نهى.

وهو أمر متحقق في الأجلة من أعلام التصوف وذكر منهم الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والحارث المحاسبي، والإمام الجنيد.

وأخذ يذكر أقوال أئمة التصوف الذين أكدوا على أن طريقهم هذا مقيد بالكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة قبل وما خالفهم فهو مردود منكر.

كما أشار إلى العلاقة التي كانت بين كبار أئمة السلف وأئمة التصوف في عصورهم، وما كان بينهم من تقدير وإجلال، فذكر مثلاً أن الإمام ابن تيمية كان يقدر الإمام عبد القادر الجيلاني تقديراً عظيمًا ويتحدث عنه باحترام بالغ في رسالة (العبودية) وكلما ذكره يقول (قدس الله سره) .... بل

(١) انظر السابق ص ٦١-٦٢.

ويخصص مائة صفحة يشرح فيها بعض فقرات من كتابه- أي الجيلاني- فتوح الغيب.

كما يذكر أيضـــًا الإشـــادة الكبيرة من الإمام أحمد بن حنبل ببشـــر الحافي وهو من كبار أئمة التصوف، وقد كان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل صداقة متبادلة، وتقدير متبادل.[١]

ثم يعقب قائلاً: (كل هذا يدل على أن أئمتنا الســـابقين منهم واللاحقين ما كانوا يفرقون بين السلفية والصوفية). [٢]

ثم يختم حديثه في هذه القضـــية قائلاً: (ما من هدف لنا فيما نكتب عن التصـــوف إلا أن نبين الحقيقة في الوحدة بين مذهب الحب المتبع، ومذهب الاتباع المحب.

وإذا كانت بعض الطبائع تركز دائما على الاختلاف تخترعه، وتجســـمه، وتضـــخمه وتتخذه ديدنـًا وشعاراً، فإننا نركز على التوحيد والوحدة، ونرى أن لا يتأتى مطلقـًا الحب دون الاتباع.

وأنه مما لا مرية فيه بين المســـتبصـــرين أن الصـــوفية من أعلام المحبين فهم إذا من أعلام المتبعين، وأن السلفية من أعلام المتبعين فهم إذاً من أعلام المحبين.

والنتيجة هي أن ما ندعو إليه، ويدعو إليه كل مخلص أن نسـير في ظلال علم: الاتباع والمحبة).[٣]

وخلاصـــة القول في هذه القضـــية التي عرض لها الإمام الشـــيخ عبد الحليم محمود أنه يرى أن السلفية تحمل راية الاتباع، والمتبع لا يكون متبعـًا صادقـًا إلا إذا كان محبـًا لمن اتبع.

والصوفية تحمل شعار المحبة، والمحبة الصادقة لا تتحقق إلا بالاتباع.

فالسلفي الحق متبع محب، والصوفي الحق محب متبع ومن ثم فلا تعارض بينهما.

---

(١) انظر العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحنفي ص٥-١١.

(٢)السابق ص ١١ .

(٣) السابق ص ١٣-١٤ .

خاتمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبعد هذه الرحلة القصيرة مع جهود الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله – في ميدان التصوف يمكننا أن نستخلص عدة نتائج :

أولاً: أن الشيخ عبد الحليم محمود –رحمه الله– حينما كتب في التصوف لم تكن كتاباته من قبيل الترف العقلي بل كانت نتاج معاناة وسلوك في درب التصوف العملي السني المعتدل.

ثانيًا: القيمة العلمية الكبيرة للتراث الذي خلفه لنا الشيخ عبد الحليم محمود –رحمه الله– في ميدان التصوف فنحن أحوج ما نكون إلى تسليط الأضواء عليه والإفادة منه.

ثالثًا: أن الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله– اتخذ من الكتابة عن التصوف السني والترجمة لأعلامه مشروعًا فكريًا قدمه للإمة في مواجهة الفكر المادي.

رابعًا: تعرض الشيخ عبد الحليم محمود لقضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي فرد مزاعم المستشرقين حولها وبين أن التصوف الإسلامي أساسه ومصدره الإسلام كتابًا وسنة على خلاف ما زعمه المستشرقون ومن تأثر بهم من الباحثين العرب.

خامسًا: أن الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله– على الرغم من كونه حمل على كاهله عبأ الذود عن التصوف علمًا وسلوكًا من خلال إحياء وبعث سير الرعيل الأول من المتصوفة، وما قام به من تحقيق كتب تعد من عيون التراث في هذا العلم، إلا أن هذا لم يمنعه من توجيه النقد لسلوك بعض المنتسبين إلى التصوف الذين أساؤوا إليه.

سادسًا: وقف الشيخ عبد الحليم محمود من ظاهرة الشطح عند الصوفية موقفًا معتدلاً يتمثل في ضرورة التحقق من نسبة هذه الأقوال إليهم، ثم ما يثبت صحة نسبته إليهم ينظر في حال القائل، فإن

كان متبعـًا لهدي القرآن والسنة ملتزماُ بهما حمل قوله على المحمل الحسن، ويحسن الظن به، وإن كان حاله على خلاف ذلك فهو مؤاخذ بما صــدر عنه، وأنه لو أمكن تأويل هذه الأقوال وحملها على وجه غير الوجه المستقبح لكان أولى.

التوصيات:

ضـرورة النظر بعين الاعتبار إلى تراث الأجلة من مشـايخ الأزهر في الميادين العلمية المختلفة لا سـيما العلوم الشـرعية والعربية، لما فيه من جهد وفائدة علمية، مما قد يسـهم في حل معضـلة، أو إزالة إشكال، أو معالجة قضية ملحة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصـــادر البحث

١ -أبو البركات سيدي أحمد الدردير ط دار المعارف.

٢-أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ط دار المعارف.

٣-أقطاب التصوف سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ط دار المعارف ط ثالثة.

٤-إمام التابعين سعيد بن المسيب ط دار المعارف.

٥-الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك ط دار المعارف.

٦ -التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق بقلم ذكي مبارك ط مطبعة الاعتماد ط أولى سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

٧ -التعريفات للشريف الجرجاني ط مصطفى البابي الحلبي١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

٨ -الحياة الروحية في الإسلام تأليف محمد مصطفى حلمي ط دار الكتاب اللبناني -بيروت.

٩ -الدعوى والشطح عند الصوفية د/ حبيب الله حسن أحمد ط مصر للخدمات العلمية.

١٠-الرسـالة القشـيرية للإمام أبو القاسـم القشـيري تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ط مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.

١١-سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ط دار المعارف ط ثانية.

١٢-السيد أحمد البدوي ط دار المعارف ط رابعة.

١٣ -شطحات الصوفية د/ عبد الرحمن بدوي ط وكالة المطبوعات-الكويت.

١٤ -شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله ط دار المعارف.

١٥-العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفني ط دار المعارف.

١٦-العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ط دار المعارف.

١٧ -العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه ط دار المعارف.

١٨-العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري ط دار الرشاد ط ثانية ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩-الفضيل بن عياض صوفي من الرعيل الأول ط دار الرشاد ط ثانية ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م (الأولى للدار).

٢٠-القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش ط دار المعارف.

٢١-قضية التصوف المدرسة الشاذلية ط دار المعارف ط ثالثة.

٢٢ -قضية التصوف المنقذ من الضلال ط دار المعارف ط خامسة.

٢٣ -اللمع لأبي نصر السراج الطوسي تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ طه عبد الباقي سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠.

٢٤-المدرسة الشاذلية وإمامها القطب الشهيد أبوا لحسن الشاذلي ط دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.

٢٥ -موسوعة أعلام الفكر الإسلامي الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٦ -موسوعة التصوف الإسلامي الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

فهرس موضوعات البحث

الملخص..... ١١٢٣
المقدمـــة ١١٢٥
المبحث الأول: الشيخ عبد الحليم محمود حياته، وجهوده في ميدان التصوف. ١١٢٧
المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الشيخ عبد الحليم محمود-رحمه الله-. ١١٢٧
المطلب الثاني:- جهود الشيخ -رحمه الله- في ميدان التصوف إجمالاً. ١١٢٩
المبحث الثاني: أبرز القضايا التي تعرض لها الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- خلال هذا الانتاج العلمي الخاص بعلم التصوف..... ١١٣٣
المطلب الأول: اتخاذ الشيخ عبد الحليم محمود الكتابة عن التصوف وأعلامه مشروعا فكريًا في مواجهة الفكر المادي. ١١٣٣
المطلب الثاني:- قضية المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي وموقف الشيخ عبدالحليم محمود منها ١١٣٥
المطلب الثالث: النقد الذاتي للتصوف وموقف الشيخ عبد الحليم محمود منه..... ١١٤٠
المطلب الرابع: - الشطح عند الصوفية وموقف الشيخ عبدالحليم محمود منه..... ١١٤٥
المطلب الخامس: العلاقة بين الصوفية والسلفية وموقف الشيخ عبدالحليم محمود منها ١١٤٩
خاتمـــة..... ١١٥١
مصـــادر البحث ١١٥٣
فهرس موضوعات البحث ١١٥٥